الأعمال والنية

س: بينا في حلقة سابقة أن النية الصالحة أساس قبول الأعمال، ونحن نعلم أن الأعمال إما طاعات أو معاص أو عادات مباحة أي مباحات هل تبين لنا أثر النية في كل نوع من هذه الأعمال؟

ج: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا ومولانا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. وبعد.

فإن الأعمال كما ذكرت ثلاثة أقسام: طاعات ومعاص ومباحات. والمعاصي يجب أن ندرك جميعاً أنها لا تتغير بالنية، فلا تكون المعصية طاعة أبداً مهما كان وراءها نية صالحة، يراها الجاهل أو يظنها، فإذا ظن شخص أن النية الصالحة تقلب المعصية إلى طاعة يثاب عليها، فهو جاهل لمعنى قول النبي ﷺ «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» فمن يسرق المال ويتصدق به أو يبنى به مصنعاً أو مدرسة يقصد بذلك نفع الناس وتقديم الخير لهم، فإن هذه النية لا تخرجه عن كونه ظالماً أو سارقاً أو مرتشياً أو فاسداً استغل منصبه في تكوين الثروات ثم يظن أن فعل بعض الخير ببعض هذا المال يعود عليه بخير ويطهر أمواله، بل إنه - كما يقول الفقهاء - قصده الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر، فالخير إنما يعرف بالشرع، ولا يكون الشر خيراً قط، وفى الحديث «ليتها ما زنت ولا تصدقت» قال ذلك عمن تكتسب المال من طريق خبيث وتفعل به الخير بعد ذلك، وشبيه بها من يسرق أو يرتشي أو يحتكر السلع والخدمات ثم يقدم جزءاً من هذا الذي استحوذ عليه إلى الفقراء والمحتاجين الذين أفقرهم باحتكاره سلعة، أو عدم قضاء مصلحة لهم إلا برشوة، أو استغلال نفوذ، فإذاً قول النبي ﷺ «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**» يختص من الأقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات، فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلاً، وهناك طرفة يقول الناس

إنها وقعت فعلاً، عندما ذهبت امرأة لها ثأر تطلب من قاتل محترف أن يأخذ لها بثأرها، فطلب منها مقابل ذلك ١٠٠ جنيه، فاشتكت له الفقر وأنها لا تستطيع توفير أكثر من عشرين جنيه، فطلب منها خمسين فقط، لكنها وقفت عند العشرين أقصى ما تستطيع دفعه، فقال لها خل لك هذا المبلغ التافه، سأقتله لك لوجه الله تعالى. فهل هذا القصد، في مساعدة المرأة الضعيفة يجعل القتل الذي هو أكبر المعاصي طاعة من الطاعات، إن هذا لهو الجهل المركب كما يقولون.

س: وما أثر النية في الطاعة، إنها طاعة في ذاتها فهل للنية أثر فيها؟

جـ: نعم. الطاعات مرتبطة بالنيات سواء في أصل صحتها أم في تضاعف فضلها، ومضاعفة الثواب عليها. أما في أصلها؛ فلابد أن ينوى القائم بالطاعة عبادة الله تعالى وحده، فإذا نوى مراءاة الناس، انقلبت الطاعة إلى معصية. هذا عن الأصل في الطاعة، أما بخصوص تضاعف الفعل ومضاعفة الثواب فإنه يكون بقدر النيات الحسنة، فكلما كثرت النيات الحسنة وراء القيام بطاعة من الطاعات، كلما تضاعف الثواب عليها فمثلاً من يبنى مصنعاً ينتج للناس سلعة يحتاجون إليها، فإنه يستطيع أن يجعل الكثير من النيات الحسنة وراء هذا الصنيع فمثلاً:

١- يمكن أن ينوى بذلك سد حاجة الناس والتيسير عليهم.

٢- كما يمكن أن ينوى بذلك تقوية الأمة بتخفيف العبء على الميزان التجاري حيث تقل الواردات بقدر هذا المنتج.

٣- ويستطيع أن ينوى أيضاً زيادة الإنتاج بما يسمح بالتصدير للخارج ليزيد من مكاسب الأمة من العلاقات الخارجية.

٤- ويستطيع أن ينوى ببناء هذا المصنع استثمار أمواله التي أمره الله تعالى باستثمارها وعدم اكتنازها.

٥- ويستطيع أن ينوى أيضا المساهمة في توفير فرص العمل للعمال العاطلين لتقل نسبة البطالة في المجتمع.

٦- ويستطيع أن ينوى الإسهام في عفة الشباب حيث إن العاملين في هذا المصنع يتمكنون من توفير ما يتزوجون به، ويعفّون به أنفسهم وزوجاتهم.

٧- ويستطيع أن ينوى الحصول على الأرباح الكبيرة ليؤدى الزكاة، ويتصدق على الفقراء ويعين من هم في حاجة إلى عونه.

وهكذا نجد عشرات النيات الحسنة يمكن أن ينويها القائم بطاعة من الطاعات، فتكون له كل هذه الحسنات، والحسنة في الإسلام بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فللنية أثرها الكبير في مضاعفة الحسنات والثواب عليها، وذلك بعد أثرها في أصل الطاعة، وهو أن الطاعة لا تكون طاعة إلا إذا صاحبتها النية الصالحة، وهي أن تكون لوجه الله تعالى وحده، فهذا هو طريق تكثير النيات وما من طاعة إلا وتحتمل الكثير من النيات، وهي تحضر في قلب المؤمن بقدر حبه للخير وطلبه له وما له به من علم نافع.

س: وما هو أثر النية في المباحات؟

ج: المباحات يمكن أن يقوم بها الشخص غافلاً لاهياً، فلا يكون له من الثواب عليها شيء، ويمكن أن تقترن بها نيات تصير بها من محاسن القربات وتنال بها معالي الدرجات، فمن يتعاطي المباحات عن سهو وغفلة، فهو يخطئ في حق نفسه، ويضيع عليها خيراً كثيراً، فينبغي على المسلم أن ينتهز الفرصة ويستفيد من كل فعل أو حركة، ولا ينبغي أن يستحقر شيئاً من الخطرات فكل ذلك مسئول عنه يوم القيامة، لم فعله؟ وما قصده منه؟ والمباحات كثيرة ولا يمكن حصرها، حيث الطاعات والمعاصي محدودة، ومعظم ما نتعاطاه في حياتنا هو المباحات، ونستطيع بالنية الصالحة أن نحيلها

إلى طاعات، فالنية تجعل العادة طاعة، ويقول بعض العلماء: إني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية، حتى في أكلي وشربي ونومي ومرحى، فكل ذلك مما يمكن التقرب به إلى الله تعالى، فإذا نوى بالطعام والشراب التقوى على الطاعة وأداء الأعمال المنوطة به، فأكله طاعة من الطاعات، وإذا نوى بمرحه ترويح نفسه ليتقوى على مواصلة العمل الصالح كان المرح طاعة من الطاعات وهكذا، ينبغي على المسلم أن لا يقدم على فعل أو يحجم عن فعل إلا وله نية صالحة، تجعل الفعل قربة من القربات وطاعة من الطاعات.

والله ولى التوفيق